«عملية سليمان» وأزمة الاستيعاب

خلال يومي الجمعة والسبت، ٢٤ و٢٥/٥/١٩٩١، نفّذ سلاح الجو الاسرائيلي وشركة «العال» للطيران عملية نقل جوية ضخمة تمّ، خلالها، نقل حوالى ١٥٤٠٠ يهودي اثيوبي من العاصمة الاثيوبية، اديس ابابا، الى مطار بن ـ غوريون قرب اللد. وكانت الحكومة الاسرائيلية مهّدت لهذه العملية، التي أُطلق عليها اسم «عملية سليمان»، بسلسلة من الاتصالات المكثّفة مع الرئيس الاثيوبي السابق، منغستو هيلا مريام، وأعوانه، لعبت الادارة الاميركية فيها دوراً حسّاساً وحاسماً، ورافقتها أنباء شبه مؤكدة عن صفقة مالية ـ سياسية مع النظام الاثيوبي المنهار والثوار المتمردين عليه. وتأتي هذه العملية لتعطي زخماً جديداً لجهود تل ـ أبيب في مجال حثّ يهود العالم على الهجرة الى اسرائيل، خاصة وان تدفّق اليهود السوفيات الكثيف بدأ يشهد، مؤخراً، تراجعاً ملحوظاً.

وعلى الرغم من الضجيج الاعلامي الذي تثيره الولايات المتحدة الاميركية بشأن معارضتها سياسة الاستيطان الاسرائيلية، الّا ان دورها الفعّال في «عملية سليمان» يقدّم دليلاً جديداً على مستوى التنسيق الحيوي بين واشنطن وتل ـ أبيب في مختلف المجالات العملية. فالمهاجرون الجدد لا بدّ لهم، في النهاية، من أماكن سكن، سواء أكانت هذه الاماكن ضمن حدود ١٩٤٨، أو ١٩٦٧، أو حتى ١٩٨٢، فالنتيجة دائماً تكثيف الوجود الصهيوني على أرض فلسطين والاراضي العربية المحتلة.

خلفية تاريخية

تعدّدت الروايات بشأن الاصول الاثنية للطائفة اليهودية في الحبشة، التي أطلق المسيحيون عليها اسم «الفلاشا»، أي الغزاة. ويشير التراث المتداول بينهم الى ان الاعداد الاولى منهم وصلت شمال اثيوبيا بعد خراب الهيكل الاول مع الجماعات اليهودية التي لجأت الى مصر بقيادة النبي يرمياه، وأطلق عليهم حينذاك لقب «العبيد». وأوردت رواية أخرى ان يهود اثيوبيا هم سلالة الملك سليمان وبلقيس ملكة سبأ، التي تولّى ابنها منليك عرش الحبشة، وامتزجت في عهده المفردات العبرية مع اللغة الامهرية، وهي لغة سامية قديمة؛ في حين أوردت رواية ثالثة ان يهود اثيوبيا هم احفاد قبيلة «دان» المفقودة. الّا ان الرأي الارجح، حسب اعتقاد الباحث المتخصص في تاريخ الطائفة اليهودية في اثيوبيا، اهرون كوهين، يشير الى الاصول المصرية، من جانبها الجنوبي الغربي، واليمنية التي لجأت الى اثيوبيا خلال السنوات المئة الاولى من التاريخ الميلادي. ويعزّز هذا الرأي القرب الجغرافي بين ميناءي عدن وأسمره، بالاضافة الى التشابه الكبير في الملامح والطبائع والعادات الاجتماعية، والتقاليد، الدينية بين الطائفتين (هآرتس، ٢٦/٥/١٩٩١).

كانت الاتصالات بين يهود اثيوبيا وبقية الطوائف اليهودية في العالم شبه مقطوعة حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً، عندما وصل القدس، في العام ١٨٥٥، المدعو دانيئيل بن ـ حانينا من مدينة غوندار في شمال اثيوبيا. ويبدو ان هذه الزيارة أثارت اهتمام الطائفة الحريدية (المتزمّتة) من يهود فلسطين، وتخوّفها من تزايد نشاط البعثات التبشيرية المسيحية بين يهود اثيوبيا. وعلى الاثر، بدأ المبعوثون اليهود يصلون الحبشة لاعادة الروابط مع الطائفة اليهودية هناك، وكان أبرزهم الحاخام كوك. وعندما تولّى الامبراطور السابق هيلاسيلاسي عرش اثيوبيا، في العام ١٩٣٠ ـ وهو الملقّب «أسد يهودا» ـ ازدهرت أحوال الطائفة اليهودية، وازداد عدد المدارس الدينية بين صفوفها، وتعزّزت روابطها مع الييشوف اليهودي في فلسطين (المصدر نفسه).

بدايات الهجرة الى فلسطين

في أوائل العام ١٩٥٥، وصلت اسرائيل